صالح مبروكي

ضيّع «إيكو» و ضيّع نفسه

كاتب و مؤلف

قصة، رواية، مقالة، شعر...

نركسوس عدو نفسه رواية صالح مبروكي

نركسوس عدو نفسه

ضيّع «إيكو» و ضيّع نفسه

رواية

صالح مبروكي

منشورات الزرافة

نركسوس عدو نفسه

روايــة

بقلـــــــم

صالح مبروكي

- تصميم الغلاف و الصور الداخلية من انجاز الكاتب.

جميع الحقوق محفوظة للكاتب 2020 ©

الإهـــــداء:

إلى والدي العزيز سي يوسف -رحمه الله- المتوفي سنة 2017- و صديقي الدائم الذي علمني ان الحياة عطاء بلا حدود و أن شرف الإنسان في المحاولة و مقارعة الفشل حتى آخر رمق في سبيل النجاح.

صالح مبروكي

تصديـــــــــــــــــر:

"وهل يأبق الإنسان من ملك ربّه
فيخرج من أرض له و سماء"

- أبو العلاء المعري -

نركسوس عدو نفسه

Nárkissos

نرجس أو نركسوس Nárkissos أو نرسيس (νάρκισσος) في المثيولوجيا والأساطير اليونانية، نركسوس كان صيادا من ثيسبيا، بيوتيا أُشتهر لجماله، كان ابن الإله كيفيسيا والحورية ليريوبي، كان مغرورًا وفخورًا بنفسه لدرجة تجاهله وإعراضه عن كل من يحبه؛ لاحظت الإلهة نمسيس تصرفه ذاك واخذته إلى بحيرة حيث رأى إنعكاس صورته فيها ووقع في حبها دون أن يدرك بأنها مجرد صورة، أعجب بصورته لدرجة عجز فيها عن تركها ولم يعد يرغب بالعيش وبقي يحدق بصورته إلى أن مات.

Révisé
20/04/2020 | 19:10

"قلت بأن دقيقتين من حياة صحفي لا تساوي شيئا في نظر الحياة الإنسانية."
هي جملة قالها لي صديقي و انطلق دون وداع.
ماذا انتظر هذا الصحفي من قلمه؟ هل يكتب به ليعيش، أو ليحرج به من يريد أو ليسخر به من الناس أو ليمدحهم و ينافقهم. ليتحدث عن خصاصته و فقره و حاجته. أم ليستحضر به صورة أمّه التي لا يعرفها. ليتذكر صورة امرأة ذات ظل طلاسمي أم ليسخر من ذاته بكل بساطة..؟
قبل أن يودعني صاحبي دون وداع، قال لي: "إن الصور التي يصورها الصحفي هي صور ذات ألوان غنية و واضحة تتميّز بكثافة حسيّة رائعة."
و انطلق دون وداع أو محاولة وداع.

كان شابا طموحا، حالما. كان يحب الحياة مقبلا عليها و يحلم بأن يكون إنسانا مهما جدا (VIP)، مفكرا و فنانا. أشهر من "كوكاكولا" لما لا؟
و أغلى من سيارة "BMW". و أغنى من "بيل غايتس".

فضلا عن حبه لأمه التي لم يعرفها كان يحب حدّ الجنون ثلاث مؤنثات: القراءة، الكتابة
و الصحافة. امضى شبابه في محاولة تحقيق حلمه الأكبر بان يصبح صحفيا كبيرا.. كبيرا. كان دائم القول: "الصحفي هو الشاعر، الكاتب، المؤرخ و السياسي. إنه السيّد-كلّ-العالم."
مرت الأيام بحلوها و بمرها، أصبح كما أراد، صحفي: يكتب، يحرّر، يصوّر و يمارس مهنته المحبوبة. هل حقق كلّ ما أراده عندما كان شابا طالبا في كليّة الإعلام. لحظة كان يحلم بحياة كاملة و متكاملة..؟
اليل، المجهول، الشبكة، المرأة و القلم أين ستحمل جميع هذه المعطيات هذا الصحفي التعيس..؟

مثل كل ليلة، يا سادتي، يحلو لي النوم و بين شفتي سيجارة مشتعلة. أغلق عينيّ الحزينتين لأحلم بنار تحرق وجهي المغمور بكومة "تبن" هائلة و أحلم ببركان أحمر كجهنم يبتلع جسمي اليابس كورقة سمراء في بطنه الكبيرة المحترقة.
أمتص سيجارتي بلذة لا تُضاهى كما يمتص الرضيع حلمة ثدي أمه، عندما يفارقني النهار و

أرتمي في نسيان اللّيل. ليس نهاري بالمضيء و ليس ليلي بالمظلم.
تعطيني سيجارتي المشتعلة بين شفتيّ الإحساس بالهروب من ذاتي إلى السماء الشاسعة الواسعة بحثا عن نهار و ليل عاديّين مثل نهار و ليل كلّ الناس.
يحق لي ، يا سادتي، باعتباري شاعرا سابقا، أن أستهل وصية الوداع هذه ببعض الأبيات الشعرية:

لست إلا صحفيا فاشلا
لا أنام
يخيفني كابوس
أراني بعيني..
أراني غارقا
غارق إلى عنقي في بحيرة حبر
حبر.. و حبر.. و أيضا حبر..
عندما أرفع يديّ لطلب النجدة
إليّ.. إليّ.. النجدة..
تأخذ أصابعي شكل الريشة
تصبح أصابعي ريشات حادة
عنيفة دموية.. لا ترحم
مثل السيوف.. دامية و دموية

تكتب و تكتب بلا توقف
تكتب أي شيء كل شيء
في الفضاء و على البحر و تحت الأرض
على وجهي و على أوراق الشجر
إنها تصرخ و تصرخ
توخزني.. تقرصني.. تجرّحني
السماء كانت مليئة..
بسحب من أوراق الصحـــــــــــف
خطّت عليها أصابعي القلميّة- الريشيّة
خبر نعيّي، خبر وفاتي، خبر هلاكي
بدمـــــــــــي..
بحبـــــــــــري

ترافقني الكوابيس و تطاردني خاصة عندما أكون بصدد جماع سيجارتي و هي بين شفتيّ، فهي التي تساعدني على نسيان ريشتي الرهيبة و جريدتي التافهة.

خلال إحدى الليالي الشتويّة الباردة المخيفة، استيقظت فزعا مرعوبا و نظرت إلى ساعتي – شاهدي على خشيتي الوجودية من الزمن و من النهاية – كانت تشير إلى الرابعة صباحا. في الأفق كانت تلوح بقية قمر أبيض شاحب. و كالمعتاد كانت صورة أمي حاضرة رفقة كل ذكرياتي معها. هذه الصورة المقدسة التي تطارد دائما أشباحي التي ليس ظل من نومي الكابوسي.
كنت – مثل كل ليلة – محاطا بأشباح مخيفة
و بهياكل الموتى. و هي بصدد تقطيع أطرافي بسكاكين عملاقة و خنق عنقي بحبال من جمر بكل

صالح مبروكي
infographie
هاتف: 98603987
قصة، رواية، مقالة، شعر...
SALEH MABROUKI
كاتب و مؤلف
قصة، رواية، مقالة، شعر...

عنف و سادية. لم تعنيهم دمائي النازفة ولا صرخاتي و لا توسلاتي. مردّدين معا و في صوت واحد: "ساعتك حانت.. ساعتك حانت.." عندما تأكدوا من موتي. كفنوني في ورق صحيفة قديمة صفراء ليتم دفني في قبر صغير حقير مليء بريشات مكسورة. ثم سكبوا الحبر على جثتي المقطّعة. في الوقت المناسب، طردت أضواء صورة أمي الملائكية هذه الكوابيس بشخوصها المفزعة. و طواني النوم في ثناياه لأستيقظ في صبيحة اليوم الموالي و أقصد عملي ناسيا ما عانيته خلال تلك الليلة السوداء.

مثل كل ليلة، كنت بصدد احتساء بعض قوارير الجعة، و من لحظة إلى أخرى كنت ألمس لحيتي و ألاعبها بأصابعي. تذكرني دوما بلحظات التأمل و التفكير عندما أهم بكتابة مقال أو قصة أو قصيدة حب موجهة إلى سيّدة لا توجد إلا في مخيّلتي.

كانت لي عادة طريفة في شرب الخمر، إذ كنت أعشق طريقة العناق الشفوي المباشر (la BàB) مع قارورة الخمر، تقبيل قارورتي هو كل ما أشتهي. الكؤوس، لم أكن أحبها، كنت أمقتها، فأنا – يا سادتي – لا أحب الوسائط أبدا. لم أكن أنس

أن ألاعب بطني، المنتفخة الكبيرة، من فوق و إلى تحت و العكس بالعكس. خلال فترات الخلوة مع قارورتي الغالية الحبيبة.
أعلم جيّدا أن بطني المتعفنة العفنة مليئة بالسوائل:
قهوة، شاي، جعة، خمر، حبر، ويسكي، –
و بطبيعة الحال المياه المعدنية –
كنت أتخيل أن بطني تنتفخ و تنتفخ لتصبح في حجم المنطاد ثم تنفجر دفعة واحدة. انفجار هائل تاركا وراءه نافورة عملاقة من الحبر الأسود المركّز ينساب بقوة كالطوفان و لا يترك بقعة إلا و يلوّثها.
فجأة تقبل آلاف الريشات من كل حدب و صوب راقصة، متمايلة و ضاحكة في شبق. تشرب حبرها من تلك النافورة و تشرع في الكتابة. كتابة أي شيء و في أي مكان يقابلها. تكتب حروفا بخط كبير و عناوينا فوقية و تحتية و بينيّة صحفيّة. كل ريشة تكتب منعزلة في ركنها الخاص. تشاهد عينايّ هذا المنظر المخيف و تذرفان الدمع الحارق على جثة صحفي مفقود. على دثته المنهوشة. لم يكن هذا الصحفي المسكين إلا أنا بشحمي و لحمي وبطني المنتفخة الكبيرة و حبري.

عندما أفرغ من قارورتي تتوقف أصابعي عن مداعبة بطني، و مرّة ثانية أطلب من النادل أن يجلب لي قارورة دون كأسن إلى حدود ساعة متأخرة من اللّيل.
سيّداتي، سادتي، "إنّ كل شاعر مبتدئ هو صحفي موهوب.." هي جملة قالها صحفي يمتهن القول و القيل و القال. انتبهت إلى حكمة هذه الجملة بعد أكثر من عشرين سنة مضت منذ اللحظة التي كتبت فيها قصيدة غزلية لزميلة لي في الجامعة، تركتني و انطلقت – دون وداع – مع "رجل-ضدّ-صحفي". هي أيضا لم تكن يوما تحب الصحفيّين أمثالي و كانت تمقتهم و تحتقرهم و تقول عنهم: "سقط المتاع و مزبلة المدينة.."
منذ تلك اللحظة قررت أن أكون شهيرا مشهورا وشهريار نساء. و ها أنني وصلت و حققت رقما قياسا في الأمراض و العقد مع شهرتي هذه.

لا شيء يسير...
أبـــــــــــــــــــــدا..

على الساعة العاشرة صباحا، يا سادتي، سلمت مقالي الخاص بالشعر و ظاهرة الرمزية الطوباوية إلى مجلة تصدر بفرنسا. و على الساعة الثالثة عشرة و خمسة و أربعون دقيقة زرت مقر جريدة محلية سلمت رئيس تحريرها تحقيقا حول عارضي الأزياء و مغامراتهم العاطفية غير العادية. و حوالي السابعة عشرة، كنت برفقة صديق لي – رئيس تحرير إحدى الصحف المسائية – و قد ناقشنا عنوان محاولتي الأدبية الأخيرة (حوار داخل الحوار.) و قد حاولت من خلالها نقد مسرحية منولوجية، هي بصدد العرض هذه الأيام. و على الساعة التاسعة مساء كنت جالسا بإحدى الحانات الصغيرة المغمورة لأشرب و أخطط لمقالي المقبل حول "التطرف الديني و السلفية الفكرية في العالم العربي." لحساب مجلة لائكية تصدر بدولة علمانية "ديمقراطية" من دول العالم الثالث. بعدها جاءني أحد الأصدقاء، و قد كان في زيارة عمل صحفية لمدينة باريس ليسلمني مبلغا من المال بالعملة الصعبة كثمن لمجموعة من المقالات التي كتبتها في السابق لحساب مجلة "منحطة" صفراء تبيع و تشتري في المبادئ

و القيّم، منذ أكثر من سنة و نصف. و حوالي الساعة الحادية عشر ليلا، التحقت بشقتي الموجودة بعمارة شاهقة بإحدى الأحياء المترفة جدا، لتناول بعض الطعام، حيث لم أجد ما يؤكل أو ما يصلح للأكل. الشقة "تضرب تقلب" كل محتوياتها كانت رأس على عقب.

لا يهم ! اعتدت على هذا النمط من الحياة. سأشرب قهوة ! الأمر غير ممكن حتى مع القهوة.. لا كأس، لا سكر، لا عود ثقاب، لا بُن، لا شيء يصلح لأي شيء في هذا المنزل المشؤوم. لم يكن يعنيني و أنا أعيش وحيدا.. لم يكن يساوي أكثر من مرقد.

أشعلت جهاز التلفزيون، لا شيء جديد، و لا شيء هام. نفس الأخبار تسمعها، تراها و تقرأها في جميع وسائل الإعلام. بالنسبة إليّ، فإن الأخبار تصلني تباعا دون أن أتعب في جمعها و أنا جالس في مكتبي، عبر تلك الأجهزة الكثيرة في الجريدة. جميعها على شاكلة: "صرح السيد فلان.. دشن المسؤول الفلاني.. قرر المجلس الفلتاني.. ألقى الرئيس العلاني.. نوّهت الحكومة الفلانية.. نددت الدولة الفلتانية.. إلخ"

دائما تتكرر الأنباء ذاتها و الأخبار نفسها حول: الحروب، الكوارث، الحوادث، الفضائح، المؤامرات، المناورات، الانقلابات، المباريات، اللقاءات، المتفرقات، إلخ ..
أنام على الأخبار و عليها أصحو. لا يهم، سأقصد مطعما لأتعشى و أشرب كل ما أريد و مثل كل ليلة، لا سيما و أنه لدي الكثير من المال هذه الأيام. حافظة نقودي تعج بالأوراق المالية من فئة العشرة

و العشرين و الخمسين. شؤوني المالية تسير على أحسن ما يرام، أدام الله هذا الرخاء !
أكتب كثيرا و أربح كثيرا، سأدفع بالعملة الصعبة إن لزم الأمر و نفذت أوراقي النقدية الآن. عندي الكثير من المال بفضل مقالاتي المنتشرة في كل مكان من العالم. إن صحفيا موهوبا يستطيع بجرة قلم – أن يربح الكثير و هذا متيسر له منذ اللحظة التي أعلن فيها أنه: للبيع، للكراء، للإيجار..، – و حتما سيعيش حياة مترفة مثلما أعيش أنا الآن.
"كل إنسان ليس إلا صورة لوهمه المحسوس.."
ما تقدم، يا سادتي، هو قطعة من نهاري. أحرقوها، إلعنوها أو أرجموها. مثلما يحلو لكم، لكن أتركوا لي ليلي و لا تلمسوه. فهو معبدي، ملاذي و خلاصي الوحيد. إنه مقدس ليلي. ليل الصحفي الشهير.
إنني صحفي ضائع و خاسر و مع ذلك فكل العالم يعرفني و يجلني. و كل صحفيّي الدنيا و صحفيّاتها يحلفون بإسمي و بإسم ريشتي التي لا تجامل و لا تعادي و لا تخشى و لا تخاف و لا ترهب. برغم شهرتي الواسعة هذه فإنني، يا سادتي، أحس بأنني لا أساوي شيئا حتى ثمن ريشتي التي لا أكتب

بسواها و التي أُهديت إليّ سابقا عندما كنت طالبا في الجامعة من قبل صاحبة لي، نسيت اسمها و شكلها بعد كل هذه السنين.
لدي الكثير من المال المكدّس في عديد البنوك الداخلية و الخارجية. إلى درجة، أنّني أحتفظ بأرقامي حساباتي في مفكرة الكترونية سريّة، نظرا لتعددها و طولها. و لدي كذلك الكثير من السيوف و الخناجر التراثية التي لا تقدر بمال، و عدد هائل من الساعات اليدوية الثمينة و الساعات الحائطية الغالية. و عندي ما لا يحصى من الملابس الداخلية و الخارجية، خمسة أو ستة أجهزة تلفزيون ملوّن كبير، تسعة أو عشرة جهاز راديو، مئات الريشات و الأقلام المكسورة و المعطوبة و الجديدة، عشرات الهدايا النفيسة المهداة لي من قبل أصدقاء عرفتهم أثناء رحلاتي العملية و الإستجمامية أو الاستشفائية ، أشرطة كاسات، أقراص مضغوطة سماعية أو فيديو. أكداس مكدّسة من الصحف و المجلات المحلية و الأجنبية و أطنان من الكتب و القصص و الروايات و الدواوين الشعرية بجميع لغات العالم. و مئات الأمتار من ورق التلكس. آه.. قبل

أن أنسى، علاوة عن كل ما تقدم ذكره، ألاف الذكريات المرّة كالعلقم المكدسة في ذاكرتي التي توشك أن تتعطل عن العمل.

هكذا يا سادتي، أحصيت ثروتي التي سرعان ما تنفذ و تتبخر. هل أخطأت عندما تصورت نفسي غنيا؟ في السابق كنت أقول: "أن تكون رجلا، صاحب إرادة قوية و فولاذية معناه أن تكون بمعزل عن ثروة مثل ثروتي تلك.." هذه الثروة المجنونة الشاذة.

قبل غروب الشمس، كنت بصدد احتساء قهوة سوداء مُرّة في إحدى مقاهي المدينة المختلطة، مع صديقي المحتسب بإحدى الصحف الأسبوعية الرسمية و برفقة زميلي الشاعر (صحفي قديم بإحدى الصحف الأسبوعية الصفراء) و رفقة جاري، رجل الأعمال (قاص و كاتب بعد الخمسين). معا ناقشنا موضوع انحطاط الأخلاق الصحفية و تندي المستوى المعرفي للصحفيّين في البلاد و تحدثنا عن مستلزمات النظام العالمي الجديد، كما أننا تحدثنا عن كل صغيرة و كبيرة في

عالم التسميّات و الترقيّات و "التكسيرات" و لم ننسى التطرق لكواليس "التكمبينات" و المكائد.
تحدثنا في كل شيء و أي شيء و "قطعنا
و ريّشنا" كما يحلو لنا حتى جفت حلوقنا فرطبناها ببعض كؤوس "البيرة" المنعشة. ثم شغلنا جهاز الراديو الخاص بنا – إذاعة قالوا ! – و استمعنا إلى موجز النميمة و الإشاعات و الأكاذيب و التشهيرات و الإشهارات و الدعايات و الادعاءات. كل واحد منا يدلي بدلوه بخبر أو تحليل أو نبئ "نمى إلى سمعه" من "مصدر موثوق به". و كانت جل أخبارنا متمحورة حول البلاطات و البنات – سامحنا اللّه – فحتى القطط لم تكن تسلم من ألسنتنا.
حان وقت الانصراف و أصبح هذا المجلس يؤرقني، مجلس الكذب و النفاق و الصفقات
و الخمريات. مللتهم و مللت نفسي و سئمت الدوائر و ربطات العنق.
ليلي يدعوني إليه و خموري تراودني عن نفسها.
حان وقت العناق، فخل عنك أيها "الجورنالست الكبير" "قعدات" النفاق و أقصد سهرة حمراء واسعة النطاق. قصدت حانتي المفضلة، بمفردي،

حيث شربت ما شئت من خمر و جعة و منها توجهت إلى حانة أخرى، نسيت الآن موقعها، و منها إلى أخرى و أخرى. فكانت الواحدة ترميني إلى أختها و هكذا.. لا يهمني الخمر منصوح به في هذه البلاد الخمرية و المال متوفر عندي، إني صحفي غني و مشهور.

بعدها، دخلت إحدى قاعات المقامرة بـ"كزينو" مشهور في المنطقة السياحية أين لعبت فربحت قليلا و خسرت كثيرا حتى أتيت على آخر مليم في جيوبي الكثيرة. غادرت المحل غير واع متطوّحا، متراقصا و مردّدا كلمات أغنية كنت أحبها و لا أستحضرها إلا عندما أسكر. اشرت إلى إحدى سيارات التاكسي آخر الليل بالوقوف. تم حملي إلى الشارع المقابل لشقتي التي كنت دائما أنسى عنوانها. و لحظة هممت بدفع الأجرة "للتاكسي" لم أجد في جيوبي شيئا. نزعت ساعتي و سلمتها له

عوضا عن المال. هي إحدى ساعاتي الثمينة الكثيرة. ! لا يهم..
الآن أفتح باب شقتي، المفاتيح.. المفتاح.. ! نسيتها أو أضعتها. بماذا سأفتح باب شقتي الآن.. لا يهم. غدا، أعود للبحث عنها هناك – في إحدى الأماكن التي ترددت عليها – أما الآن، أدخل من النافذة. يمكن لي أن أنفذ منها أنا و بطني الكبيرة المنتفخة. هذه النافذة دائما مفتوحة لتدخل منها قطتي، تستعملها للدخول و الخروج عشرات المرات في اليوم بمفردها أو صحبة أصدقائها. و هي كذلك منفذ طوارئ يومي لي، نسيت أن أضيف مئات المفاتيح المكسورة إلى قائمة ثروتي.
أتكوّم على سريري و أنام.. لا يهم.

يا سادتي، كنت دائما أردّد: "أريد واحدة جميلة جدا جدا جدا إلى حدّ أن أخجل من جمالها فأطأطأ راسي إجلالا لها.. طبعا لم أعثر عليها. فاكتفيت بأية واحدة تعترض سبيلي. أنثى و كفى.
إنني صحفي يؤمن بأن "الأنوثة إذا سارت في خط مستقيم و إذا استحالت سكونا و دوائرا أصبحت فحولة عقيمة.." لا يهم.. أنثى و كفى..

في مرحاض بيتي كنت أبكي و أنتحب مردّدا:
إنني صحفي مركون و متروك
إنني صحفي "باير" و محروق
و تحت "الدوش" البارد المنعش في أيام جويلية، كنت أغني مردّدا:
إنني المحرّر المرتحل
إنني ساحر الكلمات
إنني الصحفي الشاعر الموهوب
في النهار أكتب و أحرّر
كتاباتي قلبت العالم
حرّكت الرجال
رقصّت النساء
مقالاتي تجاوزت الحدود
و "البحور"
و كسّرت السدود
ريشتي تطير.. تطير في كل أفق
المال يجري بين أصابعي كالماء
في الليل.. أسكر و أسكر
أعاشر ألف قارورة و قارورة
و ألف امرأة و امرأة

القوارير-النساء..
الريشة-الورقة
الحبر-البحر
عالمي.. نهاري.. ليلي

يا سادتي، كلّ شخص ابتدأ مثلي سينتهي "كيفما كان " بالتأكيد. !
مثل كل ليلة، كنت أردّد إسمي عشرات المرات، قبل أن أرتمي في "ظلمات" السبات و عالم الكوابيس، حتى لا أنساه مثلما نسيت صدقي. صدقوني، يا سادتي، إنّ لي عشرات من أسماء الشهرة لأذيّل بها مقالاتي، تحقيقاتي، تحليلاتي، انتقاداتي، نقاشاتي و علاقاتي الغرامية و العملية وغير الرسمية. برغم أسمائي كلّها التي حقّقت لي صيتا ذائعا فإنّني أحس أنني صحفي مغمور و نكرة. ليست لديه الشجاعة حتى في كتابة اسمه الحقيقي في آخر أعماله مثل بقية المحرّرين العاديّين.
لقد دخلت في متاهة الشهرة و حب التجديد و الأسماء المستعارة فأضعت طريق العودة إلى ذاتي و لم يعد لي عنوان أو مستقر. أصبحت رجلا

بلا منطلقات و بلا مبادئ، يسير متعثرا و إذا وقف سقط. فأصبح لزاما عليّ ألا ابحث عن أصلي و ألا أسأل عن منبتي.. و من سأسأل.؟
أحيانا، يا سادتي، أحاول حصر ما بقي مني فلا أجد غير بعض الأقصوصات و بعض الكلمات الملطّخة بالحبر أو سيئة الكتابة. إلى حدّ أنّني أرى البحر و كأنه ألة "دكتيلو"، حتى صوت الموج يتحول في أذني إلى "تيك-تاك.. تيك-تاك" يقرع رأسي الأصلع العاري.
طرقات المدينة.. نعم طرقاتها و أنهجها أمست في عينيّ المهووستين تعج بمارة ذات أشكال غريبة و مخيفة و "زمبيّيات" ينهمر الحبر مدويا عاصفا من عيونها الناريّة. أحرف و أرقام و نقاط و فواصل عملاقة، سوداء، مسلّحة تقتل كل غريب. وكنت أنا الغريب.. لا يهم..

الشبكة أمامك، العنكبوت
وراءك و الله فوقك..
فاختر.. !

لم يبق مني، يا سادتي، إلا بعض الصوّر المتداخلة و بعض الأصوات المتمازجة. و مثلث زمني اختلط فيه الماضي بالحاضر و بالمستقبل. فتشابكت ذكريات المجد، النصر، الشهرة، الفشل و الانتحار. تداخلت الذكرى مع الخيال و تداخلت الوقائع مع الهواجس أمام ناظريّ. أصبحت، يا سادتي، أراني منتحرا خنقا بشريط آلتي الراقنة المحبّر الأسود و الأحمر. لم يبق من هذا الصحفي سوى قلبا وحيدا ليس غير ضرب من الأخطاء المطبعية و التراكيب الركيكة حدثت خلال عملية طبعي و تصفيفي و عند لحظة "نشري" و على امتداد حياتي هذه التي بين ايديكم.. ! ساكنة، خانعة تنتظر الحكم النهائي و الصياغة الأخيرة فأحكموا..

يداي، يا سادتي، ترتعشان من كثرة الاستعمال: المنبهات، السجائر و الكحول. جميعها دمرت صحتي و أتت على مداركي الحسية، إلى درجة أن أصابعي لم تعد تقدر على حمل سيجارتي الحبيبة. أعضائي برمتها تختلج دون توقف: قلبي، يدايّ و عنقي أصبحوا في حالة خوف و جزع مستمران. لعلّهم خائفون مني فقد أصبحت مصدر

خوف حتى لنفسي... يا ويلي.. بكيت كطفل و أنا أرتشف قهوتي، سيجارتي بين شفتي و صورة صديقتي – التي فارقتها – بين يديّ. لم تكن جميلة فكرهتها.

أفقت، يا سادتي، من نومة دامت دهورا من الزمن.

و قفت فوق سريري المتجمّد و رحت أصرخ:

أنا الصحفي، المؤلف، الكاتب، الشاعر، الروائي، القاص، المفكر..

أكتب في كل زمان

كتاباتي تجاوزت جميع الحدود

يحق لي مدح نفسي.. أنا عظيم..

أنا "معظّم"

أعشق نفسي.. أكثر من "نرسيس"

أكتب بجميع اللغات و لجميع النّحل

("ماعون" الصحافة يعرفني)

(الريشة و الحبر و الورق و المطبعة)

نشرت عشرات الروايات
و مئات القصص
نظمت مئات القصائد
الطويلة و القصيرة
في الشعر العمودي و الحرّ
و في الشعر غير العمودي
و غير الحرّ
حرّرت آلاف المقالات
و التحقيقات و الربورتاجات
حققت كل شهواتي..
بكلماتي
ركبتني الحياة بكلماتي
و ركبت الحياة بكلماتي
بها غازلت النساء
و نمت معهن
و بها صاحبت السفهاء
لكـــــــــــــــن
فنت كلماتي
اضمحلت و تلاشت
توقف نبضها
و في نهاية رحلتي

مـــــــــــــــن؟
من.. مـــــــــــــــن؟
من سيكتب هذه الكلمات
على قبري الغريب
و المجهول
"كان هنا و هناك و أينما كان..
كان له ريشة و كلمة
كان كاتبا.. كان مؤلفا.. كان محرّرا
كان صحفيّا.. كان شاعرا.. كان فنّانا
مـــــــــــــــــات
و الموت مصير.. محتوم
و لا غالب له
دُفـــــــــــــــــن
ملفوفا في ورق كريه
ورق جريدة صفراء بالية
حقيـــــــــــــــــرة
يا إلهي .....
يا إلهـــــــــــــــــي...

من سيكتب على قبري هذه الكلمات الأخيرة: "هذا المحرّر هو الان يرقد ميّتا، جثة هامدة، متعفّنة، عفنة و محبّرة."؟ من سيقول: "رحمه الله.." و من سيقول: "لعنة الله عليه.."
يا سادتي، إن المنهوك مثلي لن يرتاح في حياته و لن يرتاح – حتى– في موته. إن جسمي بأسره يرتعد من الضعف و من السقم. شخت قبل أن يحل ميعاد شيخوختي. أشرفت على النهاية و أنا لازلت في البداية. إليكم، يا سادتي، الدليل:
خلال إحدى خلواتي الجنسية، قالت لي مرافقتي المومس متبرمة: "إنك لا تصلح لشيء، إنك لست رجلا و كأنني أنام مع أختي.. كان يجدر بي أن أنام مع كلب، "خير ليّ"
كنت أعجز عن كل ما تشتيه امرأة من رجل، حتى بعد عديد المحاولات و في عدة مناسبات. استلقيت على بطني و أشعلت سيجارة. كل ما أستطيع فعله هو التدخين. أما ما تطلبه مني هذه المرأة.. "فيا حسرة.. لا يهم..

يا سادتي، لقد قررت أن أتحرّر. أقفلت على نفسي باب شقتي، هشمت جهاز الهاتف و رميت كتبي جميعها من النافذة إلى "حمّاص" الحي. و في مغسل "توالاتي" نقعت جهاز الراديو و جهاز التلفزيون و الفاكس و التلكس. ثم كسرت جميع ريشاتي و أقلامي و نظاراتي. و أتلفت جميع ما يذكرني بي. رميت بمفاتيح شقتي و مكتبي و سيارتي و خزينتي في البالوعة. مزقت سراويلي و قميصي و ملابسي الداخلية و الخارجية فخرجت منها عاريا كالحقيقة. بصقت على بطني المنتفخة المسلوخة. أما عن ربطة عنقي فسأشنق بها نفسي و أخنق بها أنفاسي الضعيفة المتبقية.

صرخت، بكيت، ضحكت ثم بكيت طويلا حتى سجدت على ركبتي.. ها أنك تسجد و تركع هذه المرة.. عدت للضحك. ضحكت عاليا عاليا. ضحكات أنيقة. خرجت من فمي في أبهى حللها الملائكية.

كنت أعلم أن أنفاسي غادرتني بلا رجعة و أن الثلوج الباردة و الرمال الحارقة ستغمرني قريبا. و أن مصائب الدهر انهالت على رأسي منذ علمت

إني بلا أمّ ومنذ اللحظة التي فقدت فيها صدقي.
عميت و انخرست.. يا ويلي.. لا يهم..
أنا الصحفي الخدوم المطيع، لم أكن غير خادم أحمق. منظف صحون، كنّاس شوارع أسياده و القائم بشؤون صغارهم. لست إلا صحفيّا للمضغ، للإيجار، للكراء أو للرمي بعد الاستعمال "جيتابل" لم يعد يهمني أن أقبر في مقبرة المنسيّين و المتروكين و المارقين و المختلين و المخدوعين و المسلوقين أو أن أُسجن في مرحاض منزلي.
وداعا أيها "الجورنليست" وداعا يا حياتي الصحفية، وداعا أيتها القصيدة التي دفنتها تحت أوراق نفاقي و غشي.. الأوراق المالية تبدو لي الان و كأنها باقة ورد وضعت فوق قبري الهزيل. لساني تدلى من حلقي الجاف كبرقيات آلة التلكس..

في صحف اليوم الموالي ستظهر صورة هذا الصحفي على جميع الصفحات الأولى مكتوبا تحتها بالخط العريض: "الإعلامي الكبير و الصحفي الشهير، سي فلان، في ذمة الله.."
ركعت، سجدت هذه المرة.. لا يهم.. المهم أنك ستصلي..

تشيّع الجنازة، يُدفن، يحاسب/لا يحاسب، يباشر الدود عمله، يُسدل الستار، تنطفئ الأنوار و ننتقل إلى صفحة جديدة..

قبري المسكين، يا سادتي، لن تزوره غير حفنة صغيرة من السكرتيرات المخلصات، اللاتي ربطتني بهن علاقات طيبة و دافئة. و طبعا طيفها –أمّي– سيكون في الموعد لاستقبالي و الترحيب بي. أما قطتي السوداء – تركت لها النافذة مفتوحة للأبد –
فلأتطهر، يا سادتي، من نفسي بنفسي.. غفر الله لي أخطائي و ترهاتي الصحفية و بيّض صحيفة سوابقي و ذنوبي عنده... أميـــــــــــــــن.
وداعا أيها الصحفي.. فقد كنت تنبض بالحياة.
الوداع نرسيس لم تعجب بغير صورتك.. خسرت حبيبتك "إيكو" و ضيّعت نفسك. ضللت الطريق إليها و تهت بعيدا عنكما.

– تمت –

استطراد..

"لا تسقط التفاحة بعيداً عن الشجرة."
(حكمة عالمية)

"إذا كانَ أصلي من ترابٍ فكُلَّها.. بلادي وكلُ العالمينَ أقاربي."
(أبو الصلت أمية الإشبيلي)

"أصلي ترابٌ فالأنام بأسرهم لي أقربون و كل أرضٍ داري."
(ابن الوردي)

خاتمة..

رحلة العمر تبتدأ بلحظة وتنتهي بلحظة و بين اللحظتين يشحن الواحد منا "بطاريات" وجوده ألف مرّة و مرّة لمدة ساعات

طويلة و طويلة مثل ذاك الاختراع العجيب "الهاتف الغبي"، و قد تكون ممّلة و مضنية أحيانا أخرى. يشحنها ليعيش و يشحنها كذلك حتى لا يعيش في سكون و شتان بين السكون و الحركة. شتان بين أن نعيش أو لا نعيش.
رحلة ممتعة و لذيذة، رحلة الوجود، رحلة الموجود. تيه و انطلاق من مجهول غير معلوم – مبهم و "مطلسّم"– نحو معلوم قد يفلت من الرتابة. رتابة الحياة اليومية المتكرّرة الممّلة و لكنها واجبة الوجود و تلك هي الحياة الحقيقية التي يجب أن نحياها و ننجح فيها. هنا "تنفذ" البطارية و لابدّ من إعادة شحنها.
بين اللحظتين الأولى و الأخيرة كانت بطارياتي كلماتي و شُحنتها: أفكار و تجارب و ذكريات و ربما أحلام تاهت فيّ و تهت فيها فكانت "قتلها كورونا" و ضعتها بين أيديكم ، سيداتي، سادتي، متاهة مكشوفة و كلمات متقاطعة يصحبها الحل في نفس "العدد". ليست هي ضياعا وليست ضلالا أو تضليلا. ليست هي السطح و ليست العمق. ليست هي الحلّ و ليست الإشكال. هي بكل بساطة من وحي خيال مؤلف.
(شكرا.-الكاتب)

صالح مبروكي

صالح مبروكي

جميع الحقوق محفوظة للكاتب © 2020

صالح مبروكي

كاتب و قاص تونسي من مواليد سنة 1968 بمدينة أم العرائس المنجمية، فيها زاول تعليمه الابتدائي و الثانوي، ومنها انتقل إلى العاصمة و شهادة البكالوريا آداب "في جيبه" ليدرس بمعهد الصحافة و علوم الإخبار.

فني مؤهل بشركة فسفاط قفصة منذ سنة 2002 في ميدان المكتبية والسكريتاريا و التصرف التقني.

بالاعتماد على التقنيات الجديدة في ميدان الإعلامية و الوسائط المتعددة تمكّن من تعليم نفسه بنفسه و اكتسب مهارات في الأنفوغرافيا و غيرها من الأدوات الفنية الرقمية الأخرى.

من إصداراته المنشورة: "غياهب التّيه.." (مجموعة قصصية-2019) و "طقوس ممحاة.." (مجموعة شعرية- 2020)

- الإقامة: أم العرائس-قفصة-الجمهورية التونسية.
- الهاتف: (+216) 98 603 987
- البريد الإلكتروني: salehymabrouki@gmail.com